العرب قادمون

المغامرون الستة
و
منظمة الأشرار

تأليف
محمد فتحى صبرى

رسوم
وسام سيد عمر

عندما انتهت امتحانات نصف العام بكلية الصيدلة العربية، ساد بين طلبة الكلية جميعًا شعور بالراحة والسعادة؛ لأنهم سيقضون إجازتهم في بلادهم وبين أهاليهم، عدا حمدي، فبالرغم من أنه اجتاز الامتحانات كلها بتفوق، لكنه لم يكن سعيدًا، حيث إنه سيشعر بالفراغ والوحشه؛ لحرمانه من خطيبته وحبيبته هادية، وأصدقائه الأحباء: جاسر، ووليد، وطلال، ولمياء، لمدة ثلاثة أسابيع بأكملها، وهو الذي لا يستطيع فراقهم يومًا واحدًا!

امتثل حمدي إلى الأمر الواقع، وعاد إلى منزله، بَيْدَ أنه ما أن مرت ثلاثة أيام فقط، إذا بتليفون منزله يرن، حيث كان على الطرف الآخر عميد الكلية نفسه.

اندهش حمدي؛ لأن عميد الكلية يطلبه هو ووالده للحضور لأمر في منتهي الأهمية، وعندما سأل حمدي

العميد عن سبب الحضور فوجئ به يقول له:

إن جميع طلبة الكلية وأولياء أمورهم مدعوون إلى اجتماع مهم بالكلية.

وبالرغم من أن حمدي لم يعرف ماهيّة هذا الاجتماع المهم، إلا أنه أمضى اليومين السابقين للاجتماع وهو على أحرّ من الجمر، حيث كان يطوق إلى رؤية هادية وأصدقائه مرة أخرى.

سافر حمدي ووالده بالسيارة مع بزوغ فجر يوم الاجتماع، وما كادت عقارب الساعة تشير إلى العاشرة صباحًا، حتى كان حمدي ووالده يدخلان من باب الكلية، ولكنهما لم يصادفا هناك أحدًا من الطلبة، ولا حتى من إدارة الكلية، فقام حمدي بالاتصال بجميع أصدقائه، ولكن تليفوناتهم المحمولة كانت مغلقة، فتأكد له أنهم جميعًا في الجو، يركبون الطائرات في طريقهم إلى مطار الإسكندرية.

وما أن مرت ساعة واحدة، حتى فوجئ حمدي بحضور جاسر، وبعد نصف ساعة أخرى أقبل العديد من الطلبة مع أولياء أمورهم، ومن ضمنهم وليد وطلال، وكان السؤال الذي ما يزال يتردد على ألسنة الجميع:

ما هو سبب هذا الاجتماع المهم، والذي حرصت إدارة الكلية على دعوة جميع الطلبة وأولياء أمورهم لحضوره؟!

وبعد مدة قصيرة، أقبل عميد الكلية، وصارح الجميع بأن الاجتماع المفاجئ سببه حضور عدد كبير من مندوبي جمعية نهضة العرب، وهي جمعية تشكلت من أجل نهضة الدول العربية، وأسَّست كلية الصيدلة العربية لتكون باكورة أعمالها.

كان واضحًا على وجوه أعضاء إدارة الكلية، وعلى رأسهم العميد، أن هذا الاجتماع لأمر خطير، إلا أنه عندما أوشكت الساعة أن تشير إلى الثالثة ظهرًا، أخذ

جميع الطلبة وأولياء أمورهم أماكنهم، بينما وقف حمدي لمدة ينتظر حضور هادية، وقد حاول الاتصال بها مرارًا، ولكن كان تليفونها في كل مرة مغلقًا، فلما لاحظ طلال ذلك، دنا منه، وهمس في أذنه قائلاً:

لا تقلق هكذا يا حمدي، فمن المؤكد أنها في الطريق، فدائمًا ما يغلق الراكب تليفونه أثناء الطريق.

بَيْدَ أنه، وبعد عدة دقائق، نادى وليد على حمدي من بعيد، وبادره قائلاً:

حمدي، أنظر!

التفت حمدي إلى حيث أشار وليد، فتجمد في مكانه، حيث شاهد الشيخ حمدان- والد هادية- يُقبل من بعيد، فعلّق جاسر ضاحكًا.

أبشر؛ فلقد جاءك الفرج.. لقد هلّت رائحة الأحبة.

وهنا، أسرع حمدي نحو الشيخ حمدان، وعانقه في

سعادة بالغة، ولكنه فوجئ بالشيخ يسأله في لهفة؟

أين هادية ابنتي؟

فقال حمدي في دهشة وحيرة:

هادية! ألم تأتِ معك!

ردّ الشيخ، وقد بدت عليه علامات القلق والخوف:

ماذا تقول؟!

لقد تركتها منذ الصباح وهي في طريقها إلى الكلية!

ثم نظر في ساعة يده، وقال وقد تزايدت مخاوفه ولهفته:

يُفترض أن تكون هنا منذ ثلاث ساعات على الأقل!

فنظر الجميع إلى بعضهم في دهشة كبيرة!

*****

جعل حمدي ينظر إلى الشيخ حمدان في دهشة شديدة، وأسرع نحو جاسر، وأخبره بتأخر هادية، فغمغم- وهو في حاله من التفكير المصحوب بالحيرة- قائلاً:

ربما تكون قد تأخرت وهي تشاهد محلات الإسكندرية!

أنت تعرف شغف البنات الشديد بالشراء.

أومأ حمدي برأسه مؤكدًا، في محاولة منه أن يقنع نفسه بذلك، ويُذهب عنه القلق والخوف، قائلاً:

فعلاً.. يُحتمل ذلك.

إلا أنه وبعد عدة دقائق، تناهى إلى آذان الجميع صوت مدير مكتب عميد الكلية يتردد عبر الميكروفونات المثبتة بحوائط الكلية قائلاً:

على الطالبة هادية حمدان التواجد بمكتب السيد عميد

الكلية.

راح جميع طلبة وطالبات الكلية يسألون عن هادية، ولم يلبث أن أقبل عامل مكتب العميد، وتقدم قاصدًا الشيخ حمدان- والد هادية- وقال في أدب:

سيادة العميد يطلب من سيادتكم أن تشرّفه بمكتبه لأمر مهم.

وهنا، لم يستطع حمدي من فَرْطِ لهفته أن ينتظر ليعرف ما حدث لهادية، فأسرع بمرافقة الشيخ حمدان إلى مكتب عميد الكلية، والذي كان جالسًا وسط مجموعة من الرجال، وما أن شاهدهما حتى بادرهما بالسؤال في لهفة:

أين الطالبة هادية ابنتك؟

أجاب الشيخ وقد تضاعفت حيرته:

لقد تركتها في المطار، ولكنها لم تأتِ حتى الآن!

ولكنه فوجئ بالعميد يقول في اضطرات واضح:

هل هذا معقول؟

كيف تتأخر وهي تعرف أن الاجتماع سينعقد بعد ساعة واحدة؟

فسأله الشيخ في لهفة شديدة:

ولكن ما أهمية حضور ابنتي هادية بالذات؟

قاطعه العميد وهو ينظر إلى رجل كان يجلس على يمينه:

ألا تعلم أن الدكتور صالح الفالح قد قابل هادية في الطائرة القادمة من البحرين، ولما عرف أنها طالبة بالكلية، أعطاها حقيبة تحوي أخطر الوثائق المتعلقة بالمؤتمر، على أن تقوم بتسليمها له قبل المؤتمر؟

فقال الشيخ حمدان مؤكدًا؟

نعم، وقد كنت موجودًا عندما ناولها الحقيبة.

غمغم الدكتور صالح الفالح قائلاً في ندم وضيق:

للأسف، لقد كانت معي عدة حقائب، ويا ليتني ما أعطيتها هذه الحقيبة بالذات.

مرت ساعة أخرى، وحان ميعاد الاجتماع، فقال الدكتور الفالح في ضيق شديد:

ماذا أفعل؟ فالمستندات مع هادية، وهي للأسف لم تصل حتى الآن؟

اضطر عميد الكلية أن يلقي كلمة رحب فيها بالجميع، وما أن أنهى كلمته، حتى صاح أحد أولياء الأمور في ضيق ودهشة:

هل هذا معقول؟!

نغادر بلادنا وأعمالنا لمجرد أن ترحب بنا!

فتدخل الدكتور المرزوقي قائلاً:

لا، بل الحقيقة أننا قد دعوناكم إلى حضور الاجتماع

الذي بِناءً عليه سوف تحدث قفزة هائلة بالعالم العربي إلى الأمام؛ ليلحق بركب الدول المتقدمة.

ثم التفت إلى الدكتور صالح الفالح، وهمس قائلاً:

يجب أن تقدم إلى الناس فكرة المشروع، ويمكنك أن تقدم المستندات والوثائق بعد ذلك عندما تحضرها هادية.

إلا أنه ما كاد الدكتور الفالح يشرع في الحديث، حتى صاح الشيخ حمدان فجأة:

مكالمة من ابنتي هادية!

توقف الشيخ حمدان ليستمع المكالمة، وبعد دقيقة واحدة، فوجئ به الجميع يصرخ قائلا:

ابنتي.. ابنتي!

أسرع إليه الجميع، وأحاطوا به.

كان جسد الرجل كله ينتفض من فرط الحزن المصحوب بالفزع، ثم قال وهو يتنفس بصعوبة:

لقد اتصلت بي هادية ابنتي لتستغيث بي، وتقول: إنها مختطفه!

*****

سادت بين الجميع حالة من الذهول، أسفرت عن حدوث جَلَبَةٍ شديدة بين كل الموجودين، وما أن هدأت الجَلَبَةُ لثوانٍ، حتى انطلق الدكتور صالح الفالح يقول:

إنها مصيبة! لقد ضاعت كل أبحاثي!

فانفجر الشيخ حمدان قائلاً في حنق مصحوب بالهلع:

تقول أبحاثك؟!

وابنتي.. ابنتي هي الضحية!

نظر الجميع إلى بعضهم البعض وهم في حالة من الغضب والثورة، وبينما هم على هذه الحال، أقبل أحد سكرتارية الكلية، وهو يحمل في يده ورقة مطوية، وبسطها أمام عميد الكلية، وما أن تناولها منه العميد، وألقي نظرة سريعة عليها، حتى صاح غير مصدِّق:

يا لها من كارثة!

فلما تعلقت به عيون الجميع، أردف قائلاً، وهو يعاود قراءة الرسالة بإمعان:

إنها رسالة بالبريد الإلكتروني من منظمة تُدعى "بريت"، تقول:

إن هادية رهينه لديهم؛ حتى لا تقوم مصر بتنفيذ اختراع الدكتور صالح الفالح.

فهتف الشيخ في الجميع قائلاً في حزن وغضب شديدين:

معنى ذلك أن الخبر حقيقة. ابنتي..ابنتي رهينة! يا لها من كارثة!

تدخل وكيل الكلية قائلاً وهو في عجلة من الأمر:

لا وقت يا جماعة للعتاب والنقاش، فهادية اختفت منذ بضع ساعات فقط، فلو أبلغنا المباحث سيمكنهم العثور عليها بسرعة.

فسارع عميد الكلية بالاتصال برئيس مباحث مرسى مطروح، ولم تمضِ سوى عدة دقائق فقط، حتى شاهد الجميع سيارات الشرطة تُقْبل، ويغادرها على الفور رئيس المباحث وبرفقته رجلان وضابط شرطة.

أقبل عميد الكلية على رئيس المباحث، وبادر بشرح ما حدث، وبعد أن استمع إليه رئيس المباحث، وإلى الدكتور صالح الفالح والشيخ حمدان، ظهرت على أسارير وجهه الحيرة وعلامات التفكير الشديد، ثم سأل في حيرة:

ولكن ما هو الاختراع الذي جعل منظمة أجنبية إرهابية، تختطف الفتاة، وتساومكم على حياتها مقابل تنفيذكم لهذا المشروع؟!

كان جميع أولياء الأمور يتابعون الحديث الدائر في شغف هائل، فلما شرع الدكتور صالح الفالح في الحديث، أقبلوا جميعًا نحوه، وجعلوا يستمعون إليه في شغف،

فبادر قائلاً:

لقد قمنا بتأسيس جمعية أطلقنا عليها: "جمعية نهضة العرب"؛ لأن أهم أهدافها رفع مستوى الأمة العربية من خلال التقاء أفكار العرب، مع رؤوس الأموال العربية الهائلة، والموجود أغلبها بالخارج، وأنشأنا لذلك بنكًا للأفكار.

ردّ أحد أولياء الأمور، وهو صومالي الجنسية:

بنك للأفكار!

أومأ الدكتور برأسه، وقال مؤكدًا:

نعم.. بنك للأفكار يستقبل أي فكرة من أي مواطن، وفي حالة شراء أحد لهذه الفكرة، يحصل صاحب الفكرة على نصيبه، حسب العقد المتفق عليه مع بنك الأفكار.

تدخل عميد الكلية قائلاً:

وهذه الأفكار قد تكون مجرد ملاحظة صغيرة، ولكنها

قد تلهم أحدًا بتعديلها وتطويرها، أو بتعديل ما يطرأ عليها، أو تدفع آخر ليضيف إلى هذا التعديل، وهكذا حتى نصل إلى فكرة هائلة قد تصير مشروعًا كبيرًا.

ولما توقف العميد، تدخل الدكتور المرزوقي وقال:

وفكرة المشروع التي قدمها الدكتور صالح الفالح هي المحصلة النهائية للعديد من الأفكار.

سألته طالبة كويتيه في لهفة:

ما هي؟

أجاب الدكتور صالح الفالح:

إن الفكرة مؤدّاها: أنه قد ظهرت في مصر كميات هائلة من الغاز الطبيعي، حيث بلغ الاحتياطي الموجود بها، إلى جانب الاحتياطي المتعارف عليه، وفي طريقه إلى الاكتشاف، ما يقارب مائة وسبعين تريليون قدم مكعب.

صاح أحد أولياء الأمور وهو لا يصدق:

التريليون يساوي مليون مليون، ومعنى ذلك أنه يوجد بمصر مائة وسبعون مليون مليون قدم مكعب من الغاز!

نعم.. وبالرغم من أن مصر تُصدِّر كمية كبيرة من هذا الغاز إلى الخارج، إلا أنه يتبقى من هذا الغاز كمية كبيرة تكفي لمدة خمسين عامًا.

صمت الدكتور الفالح لفترة، وأردف قائلاً:

ولكنكم تعرفون أن سعر البترول الآن في زيادة هائلة.

توقف الدكتور الفالح، وراح ينظر في وجوه الجميع، ثم أردف قائلاً:

ولكن سعر البنزين في مصر ثابت دائما منذ عدة سنوات، فلم يزد إلا بنسبة بسيطة، ولو تم بيع هذا البنزين والسولار بالخارج، فسوف نبيعه بما يتجاوز ثمانية وعشرين مليار جنيه سنويًا، في حين نبيعه داخل

مصر بحوالي ثمانية مليارات جنيه سنويًّا، وهذا يعني أن الدولة تعتبر أن الفرق بين بيع هذا البنزين والسولار بالداخل وبين ثمن بيعه بالخارج بمثابة دعم.

علّق أحد أولياء الأمور– وهو جزائري الجنسية– قائلاً:

يا خبر!

إن الفرق هائل بين بيعه في مصر وبيعه بالخارج!

أومأ الدكتور الفالح برأسه مؤكدًا، وقال:

ومن هنا قفزت إلى رأس أحد المواطنين فكرة مؤدّاها: لو تم تحويل السيارات بالكامل في مصر لتعمل بالغاز بدلاً من البنزين والسولار، على أن نبيع هذا البنزين والسولار إلى الخارج، فسوف يتوفر لمصر بذلك عشرون مليون جنيه سنويًّا.

علق أحد أولياء الطلبة، وهو من رجال الاقتصاد:

كما أنه عندما تبيع مصر هذا البنزين والسولار إلى الخارج، فإنها ستبيعه بالعملة الصعبة، وهو ما يوازي خمسة مليارات دولار، مما يؤدي إلى ارتفاع سعر الجنيه المصري بالنسبة للعملات الأجنبية، وبالتالي تنخفض الأسعار في مصر إلى درجة كبيرة.

تدخل عميد الكلية قائلاً:

هذا إلى جانب الفائدة البيئية العظيمة؛ فإن تحويل السيارات لتعمل بالغاز بدلاً من البنزين والسولار، سيؤدي إلى القضاء على التلوث في سماء مصر، والذي ينشأ معظمه عن عوادم السيارات، في حين أن الغاز لا يؤدي إلى أي عوادم ملوثة.

أضاف العميد وهو يمعن النظر في وجوه الجميع:

تخيلوا حجم الفوائد الهائلة التي ستعود على مصر من وراء ذلك!

فتساءل أحد أولياء الأمور في حيرة:



تخيلوا حجم الفوائد التي ستعود علينا من وراء هذا المشروع

إنها فوائد هائلة بلا شك، ولكن ماذا حدث؟

رد الدكتور الفالح:

كانت هناك مشكلة كبيرة تحول دون تنفيذ هذه الفكرة، وهي أن تكلفة تحويل السيارة لتسير بالغاز تبلغ خمسة آلاف جنيه، والمعروف أن لدى مصر أكثر من ثلاثة ملايين سيارة، وللأسف فإن حوالي ثلث هذا العدد من السيارات قديم، وقد لا يزيد ثمن السيارة القديمة عن خمسة عشر ألف جنيه، فما هو الدافع الذي يجعل صاحب سيارة قديمة يدفع خمسة آلاف جنيه، لكي يوفر فرقًا شهريًا بين سعر البنزين والغاز قدره حوالي مائة جنيه؟

فتدخل العميد قائلاً:

كما أن تكلفة تحويل محطة لتموين السيارات من البنزين والسولار إلى الغاز الطبيعي تبلغ خمسة ملايين جنيه، فكيف يسدد صاحب المحطة هذا المبلغ الضخم،

في حين أنه لن يكسب من وراء ذلك شيئًا، مع العلم أن عدد المحطات يزيد عن ألف وثمانمائة محطة؟!

صاح أحد أولياء الأمور وهو لا يصدق:

وما هو الحل؟

فأجاب العميد:

لقد أثار هذا الأمر السؤال الآتي: ما دامت الدولة ستربح من وراء ذلك عشرين مليار جنيه سنويًا، فلماذا لا تقوم هي بتحمل التكلفة بالكامل من تحويل السيارات ومحطات التموين؟

سأل أحد أولياء الأمور:

يا خبر! وهل ستتكلف الدولة كل هذه التكلفة الهائلة؟

ففوجئ الجميع بالدكتور الفالح يجيب قائلاً:

لقد أثبتت الدراسة أن الدولة لن تتكلف جنيهًا واحدًا!

*****

نظر الجميع في ذهول شديد إلى الدكتور الفالح، وسأله أحد الطلاب وهو لا يصدق:

هل يمكن هذا؟

كيف يمكن للدولة أن تسدد قيمة تحويل ثلاثة ملايين سيارة، وتكلفة تحويل السيارة الواحدة خمسة آلاف جنيه، بالإضافة إلى تحويل ألف وثمانمائة محطة لتعمل بالغاز، والمحطة الواحدة تتكلف خمسة ملايين جنيه؟! إنه لغز لا يُصدّق.

راح الجميع يحدقون في وجه الدكتور الفالح، وهم في غاية اللهفة لمعرفة أجابته، فقال:

أولاً: لقد قمنا بدراسة قيمة التكلفة، ووجدنا أن استيراد معدات لثلاثة ملايين سيارة، يؤدي إلى خفض تكلفة تحويل السيارة إلى ألفين ومائتين جنيه، كما أن شراء معدات لتحويل ألف وثمانمائة محطة لتعمل بالغاز،

يؤدي إلى تخفيض ثمن المعدات من خمسة ملايين جنيه إلى ثلاثة ملايين، أي أن الدولة ستتكلف بذلك خمسة عشر مليون جنيه.

تساءل أحد أولياء الأمور وهو لا يصدق:

هل تتكلف الدولة كل هذا الرقم، وتقول: إنها لن تتكلف شيئا؟!

أجاب الدكتور الفالح:

نعم؛ لأن هناك نقطة في غاية الأهمية، وهي أن سعر شراء اللتر المكعب من البنزين يُباع بما بين جنيه وجنيه وثلاثين قرشًا، في حين أن سعر اللتر المكعب من الغاز- وهو المكافئ للتر البنزين- خمسة وأربعون قرشًا، فلو قام كل فرد- مقابل قيام الدولة بسداد قيمة تحويل سيارته- بسداد قيمة اللتر المكافئ من الغاز بنفس سعر البنزين، وهو جنيه وثلاثون قرشًا، بدلا من خمسة وأربعين قرشًا، لتوفر للدولة بذلك في مدة عامين خمسة

عشر مليار جنيه.

صاح أحدهم وهو لا يصدق:

يا إلهي! إنه حل عظيم فعلاً.

وهنا، تساءل أحد الطلبة في حيرة:

يا الله!

ولكن ما هو دورك يا دكتور؟

وما هو الاختراع الذي سرقته المنظمة؟

أجاب الدكتور الفالح قائلاً:

لقد توصلت إلى اختراع أنبوبة ومنظم للسيارة، بالإضافة إلى عِدَد وآلات لتموين السيارات بالغاز، تقل تكلفتها عن نصف تكلفة الآلات والمعدات المستخدمة حاليًا، ولكن هذه التكلفة الصغيرة جدًا لن تتحقق إلا في حالة إنتاج خمسة ملايين أنبوبة سنويًا على الأقل.

ثم توقف وراح ينظر إلى الجميع لثوانٍ، ثم أردف

قائلاً:

وبالتالي، لو تم تعميم هذا الأسلوب في الدولة العربية، فإنه سيجعل كل دولة عربية لا تتكلف شيئًا يُذكر، مقابل بيعها للبنزين والسولار الذي تُصدِّره إلى الخارج؛ لتكسب الدولة العربية بذلك عشرات المليارات من الدولارات سنويًا.

صاحت طالبة سودانية في إعجاب شديد:

يا خبر! إنه سيجعلنا من الدول الغنية؟

أردف الدكتور الفالح قائلاً:

بل إنه سيؤدي إلى إضافة مليوني فرصة عمل سنويًا في هذا المشروع.

وبعد أن عرض الدكتور الفالح الموضوع، انصرف برفقه العميد تاركًا الجميع يفكرون في هذا الأمر، وسادت فترة من الصمت، قطعها طلال وهو يهمس قائلاً

لحمدي:

ألم يقم الدكتور الفالح بتسجيل براءة هذا الاختراع؟

قالت لمياء في حماسه:

فعلاً، فلو كان الأمر هكذا، فلن تستطيع أي منظمة أو حتى دولة استخدامه.

فأسرع جاسر ووليد إلى مكتب العميد، وسألا الدكتور الفالح عن تسجيل الاختراع، فرد في أسًى:

لا، لم أقم بتسجيله..

لقد كان اهتمامي هو التوصل إلى فاعلية هذه الآلات والمعدات واختبارها.

ثم صمت قليلاً، وقال في أسى:

ولكن للأسف! لقد ضاع كل شيء.

وبعد أن عاد الأصدقاء من مكتب العميد، وجدوا رئيس المباحث جالسًا يفكر ويتهامس مع مساعديه،

ومرت فترة صمت قطعها حمدي قائلاً:

يا الله! ما دام الدكتور الفالح موجودًا، وهو الذي توصل إلى هذا الاختراع، ألا يمكنه إعادة نفس الخطوات والمعادلات؟

فصاح ولي أمر أحد الطلاب مؤكدًا:

قطعًا.. بل إن الأمر لن يأخذ منه وقتًا.

ولكن رئيس المباحث قال معارضًا:

ولكن..

فسأله الجميع في حيرة:

ولكن ماذا؟

ردّ رئيس المباحث:

ولكن المنظمة اختطفت هادية لهدف آخر!

سألته لمياء وهي لا تصدق:

سبب آخر!

ما هو؟

أجاب رئيس المباحث:

إن كل هدف المنظمة ألا يُستخدم هذا الاختراع في الوطن العربي، وهم يعرفون أن الدكتور الفالح يستطيع التوصل إليه مرة أخرى.

توقف الدكتور الفالح، ثم أطلق زفره حادة، وقال في أسى:

فلو كانوا يريدون سرقة الاختراع لتركوا هادية، إنما هم يريدون ألا يستخدم العالم العربي هذا الاختراع، ولذلك فإن هادية ستظل رهينة لديهم إلى الأبد.

وما أن نطق رئيس المباحث بهذه الكلمة، حتى كاد يُغشى على الشيخ حمدان، والد هادية.

*****

سادت فترة صمت سيطر فيها الخوف على الأصدقاء، وخاصة حمدي، الذي كاد أن ينهار من فرط خوفه وحزنه على هادية، بينما تجمَّد الشيخ حمدان- والد هادية- في مكانه لمدة، ثم قال وهو لا يصدق:

هل ضاعت بذلك ابنتي؟

وهل ستكون الضحية الوحيدة؟

بينما اضطر عدد كبير من أولياء الأمور لطلب مغادرة الاجتماع.

كانت إدارة الكلية قد أرسلت بعض الموظفين والعاملين إلى مدينة مرسى مطروح؛ لشراء وجبات جاهزة لجميع الحاضرين، فاضطر عدد كبير من أولياء الأمور إلى تناولها أثناء الطريق، ولم يستطع أحد من الأصدقاء، ومعهم الشيخ حمدان، من تناول أو احتساء ولو كوب من الشاي، بالرغم من محاولات الحاج فاضل

المضنية لاقناعهم بتناول الطعام.

سادت فترة طويلة من الصمت، كان خلالها حمدي والشيخ حمدان في حالة من الحزن العميق، فقطع طلال الصمت قائلاً:

يا جماعة، لقد خطرت ببالي ملاحظة أعتقد أنها في غاية الأهمية.

فسألته لمياء في لهفة:

ما هي؟

رد طلال:

لا يمكن لمثل هذه المنظمة أن تحرمنا فقط من تنفيذ هذا المشروع، بل يمكنهم أيضًا تسجيل هذا الاختراع، ما دام الدكتور الفالح لم يسجله بعد!

وما أن ذهبوا إلى مكتب العميد، وتقابلوا مع الدكتور الفالح، وأخبروه بهذا الأمر، حتى أجابهم معترضًا:

لا.. لا يمكنهم ذلك.

التفت إليه العميد وقد فغر فاه من الدهشة، وتساءل:

ولماذا لا يمكنهم ذلك؛ فمنظمة كبيرة مثل هذه تمتلك الأموال والنفوذ، ولديها العلماء الذين يستطيعون التقاط الفكرة من الرسوم الهندسية لهذا الاختراع؟!

فقال الدكتور الفالح:

لا.. لا يمكنهم ذلك؛ لأن الموجود لديهم هو بعض النتائج النهائية، وهناك فجوة هائلة بين بدايات الأفكار، وبين الوصول إلى هذه النتائج، وبذلك يصعب عليهم تسجيل هذا الاختراع باسمهم.

كان رئيس المباحث قد غادر المكان هو ومساعداه، بيد أنه لم يلبث أن عاد مرة أخرى، وما أن استأذن في دخول مكتب عميد الكلية، حتى بادر مخاطبًا الجالسين:

عرفنا أن هذا الاختراع سيؤدي إلى دخول ما يزيد

عن الأربعين مليار دولار سنويًّا للعالم العربي، بالإضافة إلى أنه سيقضي تمامًا على التلوث، إلى جانب أنه سيؤدي إلى توفير مليوني فرصة عمل، وهو ما يعني أنه من أخطر المشاريع التي ستجعل العالم العربي يقفز عدة قفزات نحو التقدم، أليس كذلك؟

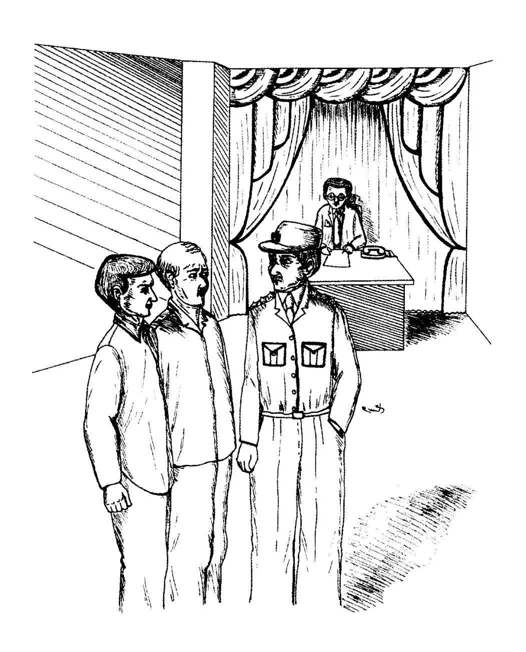
فقال عميد الكلية في تساؤل ودهشة:

نعم، ولكن ماذا تقصد؟

توقف رئيس المباحث للحظات، وجعل يدقق خلالها في وجوه الجميع، ثم أجاب:

أقصد أن منظمة بهذا الحجم والقوة، لا تتصور أن العالم العربي سيتوقف عن استخدام هذا الاختراع الضخم من أجل فتاة عادية أُخذَت رهينة، فعلى الأقل، لو كانت هي ابنة المخترع نفسه، لصار ذلك ممكنًا.

نظر إليه الجميع وهم لا يصدقون، فأردف قائلاً:



أنا أوجه للشيخ حمدان وابنته تهمة التخطيط لسرقة الاختراع

كما أن هناك ملاحظة لا تقل أهمية عن ذلك.

سأله جاسر في لهفة:

ملاحظة! ما هي؟

فردَّ رئيس المباحث:

عندما غادر الدكتور الفالح الطائرة وهو يحمل عدة حقائب، تقدمت إليه هادية، وتناولت منه على الفور الحقيبة التي بها وثائق الاختراع، وقالت:

إنها ستسلم هذه الحقيبة له في الاجتماع، فلو أن المنظمة هي التي كانت تخطط لعملية السرقة، فهل ستعتمد في خطتها على هذه الصدفة؟

كان يمكن لهادية أن تتناول من الدكتور الفالح أي حقيبة أخري.

فانتفض الحاج فاضل- والد حمدي- واقفًا، وسأل رئيس المباحث في دهشة وذهول شديدين:

ماذا تقصد سيادتك؟

إنني لا أصدق؟

ففوجئ الجميع برئيس المباحث يقف فجأة، ويقول في لهجة قاطعة:

بل صدّق، ولذلك فإنني أوجه إلى الشيخ حمدان تهمة التخطيط والتآمر هو وابنته لسرقة هذا الاختراع.

فتسمر الجميع في أماكنهم وهم في حالة من الذهول.

*****

وجد حمدي نفسه في أخطر مأزق واجهه في حياته؛ فهادية حبيبته ليست مجرد رهينة لدى منظمة عالمية خطيرة، إنما الأخطر من ذلك أن الدولة لن تحاول إنقاذها، بل إن رجال المباحث يوجهون لها التهمة بسرقة الاختراع؟

جلس حمدي في غرفته بمساكن الطلبة بالكلية، وهو يُعْمِلُ فِكْرَه، ويشحذ كل ذهنه، ولكنه كلما توصل إلى فكرة، تبخرت على الفور من فرط القلق والحزن.

وبعد مرور نصف ساعة فقط، أقبل وليد وطلال، وطلبا منه الذهاب إلى كافتيريا الكلية، حيث ينتظرهم جاسر ولمياء.

جلس الجميع، وكان الحزن يغشى وجوههم، وسادت فترة من الصمت، إلا أن حمدي بدا له شيء، فقال فجأة:

أيها الأصدقاء، لقد توصلت إلى نقطة في غاية

الأهمية!

فسألته لمياء في لهفة:

وما هي؟

فقال حمدي وهو يفتش في وجوه الجميع.

نحن نعرف أن هادية- بلا شك- أبعد الناس عن أن تقوم بمثل هذا العمل الدنيء.

فأجابه وليد في حيرة:

بالقطع، فلا يوجد إنسان في الدنيا يشك في أمانتها.

تنهد حمدي وقال:

عظيم!

ولذلك لا يوجد أمامنا سوى أن نحاول نحن البحث عنها بأنفسنا، دون أن نعتمد على رجال المباحث أو الشركة.

إلا أن جاسر قال في حيرة وشك:

ولكن، كيف نقوم نحن بالبحث عنها؟

فنحن خمسة أفراد، والأمر يحتاج إلى عدد كبير من رجال المباحث؛ فهي منظمة كبيرة.

فقال حمدي مُصِرًا:

لا، لن نعتمد على رجال المباحث، فأنا قد توصلت إلى أول الخيط.

سأله طلال في حيرة:

وما هو؟

اعتدل حمدي في جلسته، وقال:

إن الحادثة قد وقعت في الطائرة القادمة من البحرين إلى مطار الإسكندرية، أو بمعنى أخر، إن أفراد المنظمة الذين كانوا يتابعون الدكتور الفالح، من المؤكد أنهم قد ركبوا نفس الطائرة؛ لأنه لا يمكنهم ركوب طائرة أخرى

لتصل في نفس الوقت.

فصاح وليد كأنه أمسك بطوق النجاة:

جميل!

تقصد أن أفراد المنظمة كانوا ضمن الركاب الذين كانوا على الطائرة؟

أجاب حمدي:

نعم، ومن البديهي أن يكونوا من الركاب الأجانب.

فصاحت لمياء مؤكدة في حماسه:

فعلاً!

فأردف حمدي قائلاً:

فلو طلبنا من رجال المباحث أن يتصلوا بشركة الطيران التي قامت عليها الرحلة؛ ليوافوهم بأسماء الركاب الأجانب، يمكن تتبعهم بسهولة، ومكان إقامتهم في مصر، سواء في فنادق، أو مساكن مفروشة.

عقَّب طلال مشكِّكًا:

وهل من حق رجال المباحث تفتيشهم؟ لا تنسَ أنهم مواطنون أجانب، ولا يمكن لرجال المباحث تفتيشهم إلا من خلال إصدار أمر من النيابة، ولن يتسنَّى للنيابة ذلك الأمر في حالة وجود تهمة.

سادت فترة صمت، راح الجميع خلالها يفكرون في هذا المأزق، قطعها حمدي قائلاً:

الأمر بسيط؛ فسبب التفتيش موجود، وهو أن تقول شرطة المطار أو الموانئ:

إن خطابًا مهمًّا وصلها من مجهول يقول فيه:

إن شخصًا ما يحمل قنبلة ينوي تفجيرها، وهنا يحق لرجال آمن المطار تفتيش كل ركاب الطائرة، وبالقطع يكون التفتيش بعناية تامة وعميقة على هؤلاء الركاب عند عودتهم.

لم تمر إلا دقائق معدودة، حتى كان الجميع أمام رئيس المباحث، وما أن شرحوا له الأمر، إذا به لا يتقبله في بداية الأمر، وقال لحمدي مؤكدًا:

أنا عرفت أن هادية خطيبتك، كما أن المقبوض عليه هو صهرك الحاج حمدان، ولكن أنت تعرف أن الوقائع كلها تثبت أن هادية ووالدها وراء هذه الموضوع، ليس فقط لأنها هي التي أخذت الحقيبة، ولكن- وكما سبق أن قلت- لأن المنظمة تعرف أن الدولة العربية بالكامل لن تستغني عن عشرات المليارات من الدولارات سنويًّا، إلى جانب الفوائد العديدة، من أجل فتاة عادية!

ثم توقف فجأة، وقال وقد خطر بباله شيء:

إنما الأمر الآخر، والذي يضاعف شكي..

سألته لمياء:

ما هو؟

رد رئيس المباحث قائلاً:

إن الدكتور الفالح من دولة البحرين، وهادية ووالدها بحرانيان أيضًا، كما أنهما قريبان جدًّا من الدكتور الفالح، وهو ما جعل والد هادية ومن معه يراقبونه، ويخططون لذلك.

عاد حمدي من مكتب رئيس المباحث مع بقية أصدقائه، وهم جميعًا في حالة من الحزن الشديد، فاضطر والده أن يتصل بمحاميه، وما أن شرح له الأمر، حتى قال المحامي:

إنني أعرف هادية، فلطالما صادفْتُ معها ومع زملائها مواقف صعبة، مما جعلني أثق في أنها فتاة في منتهي الأمانة، وكذا والدها لا يمكن الشك في أمره أبدًا.

وعلى الفور، أسرع المحامي إلى وكيل نيابة قسم الموسكي بمدينة القاهرة، ولما عرض عليه الأمر، لم يتردد في أن يوجه على الفور طلبًا إلى وزارة الداخلية،

باحضار قائمة بأسماء الركاب الذين كانوا في هذه الرحلة.

وراح الأصدقاء جميعًا ينتظرون النتيجة وهم على أحرّ من الجمر، وفي اليوم التالي جاءت النتيجة تقول: إنه لم يوجد بين ركاب الطائرة أجنبي واحد!

وما أن علم رئيس مباحث مرسى مطروح بهذا الخبر، حتى طلب من الأصدقاء الحضور، وبادرهم في لهجة تأكيد:

لقد اثبتوا بأنفسهم أنه لا توجد منظمة أجنبية وراء ذلك، وأن هادية ووالدها مُدبّرا العملية! فكاد حمدي أن يقع مغشيًا عليه.

*****

اللغز المحير!

راح الأصدقاء الخمسة يجوبون الشوارع على غير هُدًى، وكانت علامات الحزن والأسى واضحة على أسارير وجوههم جميعًا.

توقفت لمياء فجأة وسط الطريق، وانفجرت قائلة في غضب وحزن:

إنني لا أصدق أن يتهم أحد هادية بهذه التهمة الشنيعة، هل تُتَّهم هادية بأنها خائنة للوطن؟!

فتدخل وليد مهدئًا من ثورتها:

الزمي الهدوء يا لمياء، إننا فعلاً في محنة.

فقاطعه جاسر قائلاً:

محنة!

وهل توجد محنة أشد من تلك التي تعيشها هادية ووالدها؟

فهي مخطوفة لدى منظمة خطيرة، كما أن والدها الشيخ حمدان يُعتبر محدَّد الإقامة على ذمة تقديمه للنيابة.

وبالرغم من الحزن الذي خيَّم على الجميع، إلا أن حمدي استطاع أن يخرج من حزنه، ويُعْمِلَ فِكْرَه لمدة، وعندما عاد الجميع إلى كافتيريا الكلية، انفجرت لمياء في البكاء، وقالت بين شهقاتها:

إنني لا أتصور أن نجلس بدون هادية:

وقال طلال مواسيًا:

وهل هذه أول مرة نصادف فيها مشكلة؟

هل نسيتي كل ما صادفناه من مشاكل ومغامرات من قبل؟

وفجأة، تساءل حمدي مشكِّكًا:

أيها الأصدقاء، لقد خطر ببالي أمر مهم جدًّا.. منظمة

كبرى مثل هذه المنظمة التي تحارب العالم العربي بأكمله، هل يمكن أن يرتكب أفرادها جريمة داخل مصر، وأن تقوم بتهديد علني للدكتور الفالح، بألا يستخدم هذا الاختراع الخطير؟

وهل يقدمون على فعل كل ذلك بشكل علني؟

رد جاسر في حيرة:

شكل علني!!

أجاب حمدي:

نعم، فظهورهم بصفتهم الأجنبية يُعتبر شكلاً علنيًا، فمن المؤكد أنهم يأتون متنكِّرين، وبالقطع بجواز سفر عربي.

فكر طلال في الأمر وقال:

معنى ذلك أننا يجب أن نتحقق من كل العرب الذين كانوا موجودين في رحلة الطائرة، وهم جميعًا- كما

أظن- من دولة البحرين.

علقت لمياء في لهجة شك:

ولكن المؤسف أن رجال المباحث لن يسمعوا منا كلمة واحدة بعد ذلك، فهم يتصورن أنها مجرد محاولات منك يا حمدي، أو منّا جميعًا، لأننا لا نصدق أن تكون هادية ووالدها يعملان من أجل هذه المنظمة، مما جعلنا نقوم بهذه المحاولات اليائسة.

قال وليد مؤكدًا:

كلام لمياء صحيح، فعندما اتضح أنه لا يوجد من ضمن الموجودين بالطائرة رجل أجنبي واحد، اعتبروا بذلك أننا نحاول أن نضيع وقتهم، وأننا مجرد شباب صغير خيالي، ولا وقت لديهم للاستماع إلينا:

تدخل طلال قائلاً:

إن لدي حلاً!

فسأله وليد في لهفة:

وما هو؟

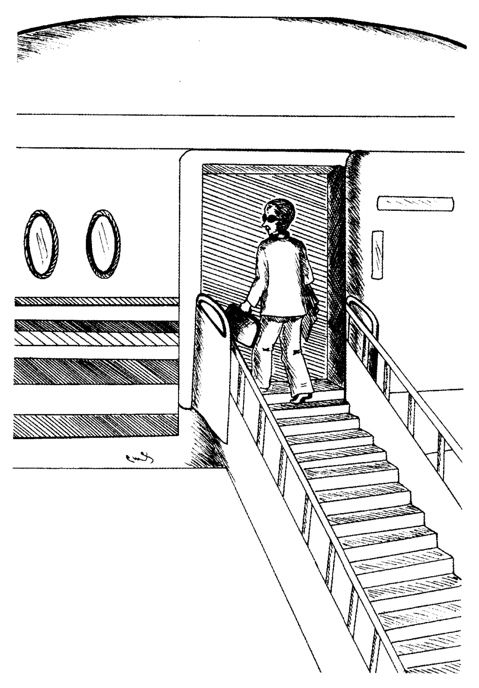
فأجاب طلال:

إن الطائرة قادمة من البحرين، والركاب جميعًا من البحرين، ومن ضمنهم بعض المصريين، وهذا يسهل علينا الأمر؛ فعن طريق المحامي الذي على صلة بوكيل النيابة، يمكن الحصول على معلومات كاملة عن هؤلاء الركاب.

فتدخل جاسر وقال:

لا تنسوا أن للشيخ حمدان معارف في الحكومة البحرينية، وخاصة أن موقفه في غاية الإحراج، وهذا الأمر خطير؛ لأنهم سيقومون بعمل اللازم نحو موافاته بالبيانات عن الركاب.

وما أن ذهبوا جميعًا إلى الشيخ حمدان في المكان



إن شخصًا متهمًا على متن الطائرة يحمل حقيبة

المُحدّدة به إقامته، وعرضوا عليه الأمر، حتى سارع بالاتصال من خلال تليفونه المحمول بعدد كبير من أصحابه في السلطات البحرينية، وكانت النتيجة أن جميع من يحملون الجنسية البحرينية الذين كانوا على الطائرة، هم فعلاً مواطنون بحرينيون، عدا راكب واحد يُدعى سعد الله الرجبي، يحمل جواز سفر مزيفًا.

فصاح حمدي في حماس:

معنى ذلك أننا قد وضعنا أيدينا على أول عضو في المنظمة كان بالطائرة.

وما أن أخبروا المحامي بما حدث، حتى قال في حماس:

إننا لم نضع أيدينا فقط على عضو في المنظمة، بل إننا استطعنا بذلك التوصل إلى وجود منظمة وراء ارتكاب هذه الجريمة.

وأسرع المحامي في اليوم التالي، وقام بإبلاغ وكيل

النيابة؛ فقام الوكيل بفتح ملف لهذه القضية، وطلب منه المحامي أن يتحفظ على هذا الرجل الذي يُدعى سعد الله الرجبي قبل أن يخرج من مصر، من خلال إدعاء رجال أمن المطار أو الموانئ، بأن مجهولاً أرسل خطابًا بالبريد الإلكتروني يقول:

إن هناك شخصًا متهمًا على متن الطائرة، وهم مضطرون إلى تفتيش الجميع.

فاقتنع وكيل النيابة بالأمر، وطلب من رجال المباحث التنفيذ.

وما أن حان ميعاد الرحلة، ووضع الراكب قدميه على الطائرة، حتى وصل الخبر للجميع من خلال ميكروفون المطار، إلا أنه وبعد أن قام رجال المباحث بتفتيش الراكب، كانت المفاجأة أنه لا توجد معه مستندات!

*****

شعر كل واحد من الأصدقاء بأنه قد أصيب بلطمه شديدة؛ فقد كانوا جميعًا متأكدين تمامًا بأن الرجل سيغادر مصر وبرفقته المستندات، ولكنهم فوجئوا بأنه لم يكن معه شيء، مع أنهم متأكدون من أنه عضو بالمنظمة!

قال وليد وهو لا يصدق:

هل هذا معقول؟!

إنني أكاد لا أثق في أي شيء، فكيف حدث ذلك؟!

قالت لمياء باكية:

إن هادية تضيع منا؛ ففي كل مرة يتسرب من أيدينا الخيط الذي يوصلنا إلى المنظمة.

سادت فترة صمت، وكان الحزن والتفكير يُخيِّمان على الجميع.

وفجأة، عَنَّ شيء لحمدي، فصاح وهو يشعر أنه قد توصل إلى الحل فجأة.

يا جماعة، لقد نسينا أمرًا هامًّا!

التفتت إليه لمياء وسألته في لهفة:

ما هو؟

أجال حمدي النظر في وجوه الجميع وقال:

إن منظمة إجرامية عالمية كهذه المنظمة، تعرف تمامًا أن السلطات العربية لن تتوقف، بل من المحتمل أن تتعرف على أفرادها لتحصل منهم على جسم الجريمة، وهي المستندات، ولذلك لن تغامر بوضع المستندات مع أحد أعضائها.

قال طلال، وقد توصل إلى ما يرمي إليه حمدي:

تقصد بذلك أن المجرم قد أرسلها بالفاكس أو بالبريد الإلكتروني، قبل أن يتخلص منها بسهولة؟!

غَمْغَمت لمياء متأثرة بالمفاجأة:

فعلاً! لم يخطر ذلك ببالنا.

راح حمدي يواصل تفكيره مرة أخرى، ولم يلبث أن أردف قائلاً:

كما أن هناك نقطة في غاية الأهمية:

فسأله جاسر في لهفة:

ما هي؟

أجاب حمدي:

إن أفراد المنظمة قبضوا على هادية لتكون رهينة لديهم، وهذا يعني أنهم حضروا إلى مصر وعرفوا خبايا أماكنها؛ ليقوموا بارتكاب جريمتهم، كما أن صاحب الجواز البحريني المزيف قد غادر مصر، وهو ما يعني أن أعضاء آخرين من المنظمة قد جاءوا إلى مصر قبله!

صاح وليد في حنق ويأس:



أفراد المنظمة قبضوا على هادية لتكون رهينة لديهم

إن الأمر بذلك قد تعقد تمامًا؛ فلقد وصلنا إلى نقطة يستحيل معها الوقوف على أي خيط يوصلنا إليهم؛ فقد دخل مصر وغادرها الآلاف، والبحث عن كل هؤلاء بمثابة البحث عن خيط في كومة من القش، كما تقول الأمثال المصرية.

وبعد ساعة واحدة أقبل المحامي، وكانت أسارير وجهه تنم عن وجود مشكلة، وقد بادر الجميع قائلاً:

لقد عدت لتوي من مكتب وكيل النيابة، وأنتم لا تتصورا مدى الحزن والغضب اللذين قابلني بهما. لقد قال لي:

إن النيابة قد استنفدت كل جهودها، وكان آخرها الموقف الحرج الذي حدث عندما قامت المباحث بتفتيش الرجال البحريني المزيف.

رد جاسر في يأس:

عمومًا، لن تستطيع النيابة مساعدتنا في أي شيء

أخر؛ لأننا قد دخلنا في متاهات.

فسأله المحامي في دهشة وحيرة:

ماذا تقصد؟

أجاب جاسر:

أقصد أننا قد توصلنا إلى أن منظمة مثل هذه من المؤكد أنها قد أرسلت عددًا من أعضائها إلى مصر لدراسة الأماكن بها، ولذلك من المؤكد أنها حصلت على شقة وضعت فيها هادية.

قال حمدي فجأة:

لقد وجدت حلاً لهذه المشكلة!

سأله طلال في حيرة:

وما هو؟

أجاب حمدي:

لقد قال الدكتور الفالح في المحاضرة التي قرأها: إنه قد توصل إلى هذا الاختراع منذ عشرين يوم فقط، ومعنى ذلك أن هذه المنظمة قد علمت بالأمر، ثم فكرت في عمل خطة لسرقة هذا الاختراع بعد ذلك، ومن هنا لا يمكن أن ترسل رجالها إلا خلال أسبوعين فقط.

صاح طلال:

يا الله! فعلاً! لقد وصلت إلى الخيط يا حمدي، ومن هنا يسهل حصر كل من دخلوا مصر من الأجانب خلال أسبوعين فقط.

وعلى الفور ذهب المحامي إلى وكيل النيابة، وعرض عليه فكرة احتمال وجود مجموعة من الأجانب من أعضاء المنظمة قد دخلوا مصر منذ أسبوعين فقط، وهو ما يُسهل الأمر على رجال الداخلية في مصر.

أسفرت التحريات بعد يوم واحد فقط، عن أنه يوجد خمسة رجال يحملون جنسيات أجنبية قد دخلوا مصر

ضمن مجموعة سياحية، ولكنهم تخلفوا عن دخول القرى السياحية، رغم سدادهم اشتراك الرحلة بالكامل، وغادر ثلاثة منهم البلاد، وتخلف اثنان منهما.

وما أن وصل هذا الخبر إلى الأصدقاء حتى شعروا جميعًا بأنهم قد حققوا انتصارًا كبيرًا، فأسرع الأصدقاء لمقابلة وكيل النيابة ورئيس المباحث معًا، بعدما قام المحامي بترتيب اللقاء.

كان واضحًا تعاطف رئيس المباحث ووكيل النيابة مع الأصدقاء، وقدموا لهم التهنئة على تفكيرهم.

ولكن حمدي لم يعبأ بهذا الثناء، فقد كان يشعر أنه في سباق مع الزمن من أجل إنقاذ هادية، وقال فجأة:

ما دام هذان الأجنبيان قد تخلَّفا عن العودة، فمن المؤكد أنهما مختبئان في مكان ما، ويحتجزا فيه هادية.

فقال رئيس المباحث:

فعلاً، لقد صار الأمر واضحًا تمامًا لنا. إنهما عضوان من المنظمة، وسنقوم بعمل حصر كامل في جميع الفنادق والمساكن المفروشة داخل مصر؛ لنعرف إن كانا قد أقاما في أحد هذه الأماكن.

راح رئيس المباحث ورجاله في عمل كافة التحريات، وبعد ثلاثة أيام توصلوا إلى أن هذين الشخصين لم يُقيما في أي فندق أو مسكن مفروش داخل مصر.

ولما وصل هذا الخبر إلى الأصدقاء، شعروا جميعًا بأن المُجْرِمَيْن قد هربا من بين أيديهم. وقد كان حمدي أكثرهم حزنًا، وشعر بأن محاولاته كلها قد ذهبت سُدى، وأن العثور على هادية قد بات من المستحيل!!

*****

بالرغم من عودة طلبة كلية الصيدلة العربية إلى الدراسة، وبالرغم من المحاولات الدؤوبة التي قامت بها إدارة الكلية حتى تستمر الدراسة وينسى الطلبة جميعًا ما حدث، على أن يستكمل رجال المباحث تحرياتهم بخصوص هادية، فإن الأصدقاء الخمسة لم ينسوا هادية ولو للحظة واحدة؛ فقد كانت لمياء تدخل من حين لآخر غرفة هادية بمساكن الطالبات، وتنفجر في البكاء، بينما كان طلال وجاسر ووليد يجلسون بين ساعة وأخرى مع حمدي؛ حتى لا يتركونه لأحزانه.

كان الشيخ حمدان والد هادية قد غادر مرسى مطروح مسافرًا إلى البحرين وهو في غاية الحزن، وقد وصلت الأخبار إلى الأصدقاء بأنه منذ أن عاد إلى وطنه لا يستطيع ممارسة عمله.

كانت أوامر وزير الداخلية المصري قد صدرت إلى

رجال المباحث بمواصلة التحري، على اعتبار أن دخول أجنبيَّيْن إلى مصر واختفاءهما بها أمر في غاية الخطورة، خاصة أنه مرتبط بسرقة أخطر اختراع عربي، واختطاف فتاة عربية.

وقد قام الوزير بالاجتماع بجميع المسئولين عن الأمن في مصر عدة مرات، وكان التفتيش مكثَّفًا تمامًا في الأماكن والمساكن المفروشة التي تقيم فيها الجاليات الأجنبية.

وكانت السلطات البحرينية قد فرضت حماية مكثفة على الدكتور الفالح؛ لأنه الوحيد الذي تستهدف المنظمة اختطافه لاستكمال النقاط الغامضة في اختراعه، كما تخشى- في الوقت نفسه- أن يستعيد الخطوات التي حققها، ويستكمل التوصل إلى هذا الاختراع.

علقت لمياء في أسًى:

إن السلطات البحرينية وسلطات الأمن العربية كلها،

قد انشغلت تمامًا بأمر الدكتور الفالح ومواصلته لاختراعه، وهو ما يجعلني أخشى أن يسفر ذلك عن فتور رجال المباحث في تتبع المجرِمَيْن الهارِبَيْن اللذين يحتجزان هادية كرهينة.

بينما علق جاسر في يأس وحزن:

المشكلة أن مصر بها عشرات الملايين من المساكن، ومن المؤكد أن وراء هذين المجرمين أعوانًا آخرين يعرفون كل الأماكن في مصر.

وبعد عدة أيام فاجأت أجهزة الإعلام الناس بخبر خطير، فقد ذهب الدكتور الفالح وأخطر رجال الأمن في البحرين بأن ابنته قد اختطفت!!

*****

أثار اختطاف ابنة الدكتور الفالح حالة من السخط والغضب الشديدين بين جميع أبناء الوطن العربي، واعتبرت السلطات الأمنية في الوطن العربي بأكمله، أن اختطاف هادية، وسرقة اختراع الدكتور الفالح، وأخيرًا- ورغم كافة الاحتياطيات- اختطاف ابنة الدكتور الفالح، بمثابة ثغرة أمنية خطيرة.

كان الشيخ حمدان يعاود- بين حين وأخر- حضور الجلسات التي يجريها رجال الأمن في البحرين مع الدكتور الفالح؛ لمعرفة أدق التفاصيل عنه وعن أسرته، وقام بتصوير ونسخ كل المحاضر والتسجيلات التي دارت بين السلطات الأمنية البحرينية والدكتور الفالح، وزوجته، والرجال المكلفين بحراسته، ولم يلبث أن عاد الشيخ حمدان إلى مصر ليقدم صور هذه المحاضر ونسخًا من تلك التسجيلات إلى رجال الأمن.

ولما علم حمدي والأصدقاء بحضور الشيخ حمدان إلى مصر، أسرعوا على الفور إلى مدينة الإسكندرية لمقابلته هناك، حيث يقيم في أحد الفنادق الكبرى بها.

وما أن شاهد الشيخ حمدان حمدي وبقيه الأصدقاء، حتى شعر وكأنه يشاهد فيهم ابنته هادية؛ فراح يعانق حمدي وهو يبكي بكاءً مُرًّا.

مر على الجميع يوم في غاية الكأبة والحزن، لم يعرف حمدي فيه طعم النوم، فأخذ- رغمًا عنه- يقرأ صور المحاضر التي تمت بين الدكتور الفالح ورجال الأمن البحرينيين، ويستمع إلى شرائط التسجيل، واستمر على ذلك حتى بزغ نور الفجر.

وفي الصباح تقابل الأصدقاء مع الشيخ حمدان، والد هادية، والذي بادره حمدي قائلاً:

أنا آسف يا عمي الشيخ حمدان؛ لاضطراري إلى قراءة صور المحاضر التي تركتها سيادتك على

المنضدة، والاستماع إلى شرائط التسجيل لما دار في المناقشة.

نظر الشيخ حمدان إليه، وقال في حيرة:

لا تأسف يا بني؛ فأنت خطيب ابنتي، ويهمك- مثلي- التعرف على كافة التفاصيل الخاصة بموضوع هادية.

قال حمدي موجهًا حديثه إلى الجميع:

بعد أن قرأت هذه المحاضر، وسمعت كل ما دار في التسجيلات، لفت نظري أمر يدعو إلى الاهتمام الشديد.

سأله الشيخ حمدان في لهفة:

أي أمر يا بُني؟

أجاب حمدي:

إن زوجة الدكتور الفالح تقول: إن زوجها أخبرها بأن ابنتهما قد ذهبت في رحلة نظمتها مدرستها إلى فرنسا، إلا أنها فوجئت من إحدى زميلات ابنتها، بأن المدرسة



أنت خطيب ابنتي ويهمك التعرف على تفاصيل موضوع هادية

لم تقم بأي رحلة للخارج!

صاح وليد في دهشة:

وماذا في ذلك؟

أجاب حمدي:

إن ذلك يجعلني أشك في الأمر تمامًا.

صاح جاسر وقد ازدادت دهشته:

هل تشك في أن الفتاة كاذبة؟

فقال حمدي معترضًا:

لا، بل إن هذا يعني أن ابنة الدكتور الفالح كانت مختطفة منذ مدة طويلة، وأنه لم يبلغ عن اختفائها إلا منذ يومين فقط.

شاهد حمدي الدهشة على وجوه الجميع، فأردف قائلاً:

السؤال الذي راودني بعد أن قرأت هذه المحاضر هو: لماذا لم يبلغ الدكتور عن اختفاء ابنته، رغم مرور ثلاثين يومًا على اختفائها؟!

قال وليد في دهشة:

يا الله! هذا صحيح!

تدخل طلال قائلاً:

لك حق يا حمدي في أن تشك في الأمر وتطرح هذا السؤال، كما أن هناك لغزًا آخر في الموضوع؛ حيث إنني قد قمت- مثلك- بالإطلاع على هذه المحاضر، والاستماع إلى الأشرطة.

سأله الشيخ في حيرة:

أيُّ لغز آخر يا بني؟

فأجاب طلال:

قال الدكتور الفالح:

إن هادية هي التي طلبت منه الحقيبة التي بها الوثائق، ولكني عندما قرأت المحضر الذي تم معك يا عمي، تبين لي أنك أوضحت أن هادية لم تمد يدها لأخذ الحقيبة، ولكن الدكتور الفالح هو الذي أعطاها إياها من تلقاء بنفسه.

قال الشيخ حمدان في دهشة:

نعم، إن الدكتور الفالح هو الذي مد يده وناولها الحقيبة، وطلب منها أن تحملها، ولم تقم هادية بذلك من تلقاء نفسها.

فقال حمدي:

هذا يعني أن الدكتور الفالح قد كذب وادعى في المحضر أمام المباحث، أن هادية هي التي طلبت بنفسها منه الحقيبة التي بها الوثائق.

فقال جاسر وهو لا يصدق:

يا الله!

معنى ذلك أن الدكتور الفالح هو الذي قام بتدبير هذه الحيلة.

*****

كان صدى خبر تدبير الدكتور الفالح لهذه الحيلة خطيرًا لدى الأصدقاء، وما أن أخبروا محاميهم بذلك، حتى فوجئوا به يقول:

إنه أمر خطير، ولا يوجد أمامنا سوى سرعة إبلاغ مدير أمن القاهرة بذلك؛ لأن الموضوع دخل في اختصاص الأمن القومي.

وفي اليوم التالي، اتصل المحامي بمدير الأمن، ونجح في تحديد موعد يجمعه بالأصدقاء والشيخ حمدان.

وما أن استمع مدير الأمن من الأصدقاء إلى تحليلهم للأمر، حتى أخذ يفكر لدقائق، ثم قال مخاطبًا الجميع في حيرة:

ولكنكم ربما قفزتم بسرعة إلى هذه النتائج.

فسأله الشيخ حمدان:

إن النتائج واضحة تمامًا. لقد كذب الدكتور الفالح وقال:

إن هادية قد تقدمت إليه قاصدة الحقيبة التي بها الوثائق، ولكنني كنت واقفًا حينذاك على بعد عدة أمتار، وشاهدته وسمعته وهو يطلب من هادية أن تعاونه في حمل إحدي الحقائب، ثم مدَّ يده إليها بالحقيبة.

توقف الشيخ ليلقط أنفاسه، ثم أردف قائلاً:

لقد قال لزوجته أيضًا:

إن ابنتهما ذهبت في رحلة مدرسية إلى فرنسا، ولم تكن هناك رحلة في الأساس! كما لم تعد ابنته حتى الآن، ولم يبلغ عن اختفائها إلا منذ يوم واحد فقط!

وما أن أنهى الشيخ حمدان كلامه، حتى قال مدير الأمن:

إن الأمر يدعو إلى الحيرة والشك في أمر الدكتور

الفالح، ولكن..

وهنا، سأله المحامي في لهفة:

ولكن ماذا؟

رد مدير الأمن قائلاً:

ولكن لا تنسوا أن الدكتور الفالح هو صاحب الاختراع، وأنه كان سيحصل على نسبة كبيرة من مبيعات هذا الاختراع في جميع أنحاء العالم العربي.

ثم توقف وجعل يحدق في وجوه الجميع، وأردف قائلاً:

لماذا يقوم بهذه الحيلة؟

إننا أمام أمرين متناقضين في نفس الوقت.

سادت بين الجميع حيرة شديدة، وراحوا يُحدقون في وجه مدير الأمن، وقد بدت على الحيرة وجوه الجميع، وعندما لاحظ مدير الأمن ذلك قال:

يجب أن نعالج مثل هذا اللغز المعقد بأسلوب أخر؛ حتى لا يختل التوازن الأمني.

وهنا صاح الشيخ حمدان محتجًا:

إنني أشعر أن الوقت يضيع، ولا أعلم مكان ابنتي هادية.

انفجر الشيخ حمدان في البكاء، وقال وهو يغالب شهقاته:

أرجوكم.. أرجوكم ساعدوني!

انتظر مدير الأمن للحظات، ثم قال محاولاً تهدئة ثائرة الشيخ حمدان:

إنني مقدر لموقفك أيها الشيخ العزيز، وكما قلت لك:

علينا ألا نقفز إلى النتائج، فهذا يفوِّت علينا الوقوف على الحقيقة؛ فيكون في ذلك خطر فعلي على ابنتك، ولذا أرجو أن يكون شكنا في أمر الدكتور الفالح في غاية

السرية؛ فالموضوع يجب أن يكون كما هو في ظاهره؛ حتى لا يتوصل رجال المنظمة إلى ما يدور في أذهاننا من أفكار.

غادر الأصدقاء مكتب مدير أمن القاهرة وهم في حالة من الحيرة والقلق، فقد وضعوا أيديهم على الحقيقة، ورغم ذلك تعقد الأمر تمامًا.

وكانت لمياء هي الوحيدة التي ظلت في الكلية، ولكنها كانت تتابع الموقف بين حين وأخر، وهي على أحرّ من الجمر.

قرر الشيخ حمدان العودة إلى البحرين، والتقى الأصدقاء بلمياء، ولما أخبروها بما حدث علّقت قائلة في حيرة:

إن رجال الأمن يضعون دائمًا أكثر من احتمال، ولكن- وكما قال مدير الأمن-:

صار موقف الدكتور الفالح متناقضًا.

صاح جاسر في ضيق:

وهذا يجعلنا دائمًا- كما يُقال في الجيش المصري- محلك سر!

وما كاد الأصدقاء يغادرون كافتيريا الكلية عائدين إلى فراشهم، إذا بتليفون لمياء المحمول يرن، وفوجئ الجميع بها تقول في إزعاج هائل:

يا الله! من؟

فسألها وليد في لهفة:

ماذا حدث؟ من المتحدث؟

أجابت لمياء وهي لا تكاد تصدق:

تصورا! إنها هادية!

*****

سادت بين الأصدقاء جميعًا حالة من الذهول الشديد، وقالت لمياء وهي لا تصدق، بينما كانت عيناها تتابعان رقم تليفون هادية المسجل أمامها:

إنه رقم هادية، وهو واضح تمامًا، ولكن لماذا لم ترد؟!

فقال حمدي وجسده كله يرتجف:

فلنحاول أن نتصل بها.

وهنا، حاولت لمياء الاتصال برقم هادية، ولكنها لم ترد.

فقال جاسر في لهفة:

ربما كانت تحاول أن تتصل بنا، ولكنهم انتزعوا منها التليفون.

بَيْدَ أن طلالاً قال في شك:

وربما كان من يطلبك يا لمياء هو أحد أعضاء المنظمة.. لا تنسوا أن الأرقام مسجلة بتليفون هادية، وربما يريدون أن يعرفوا أصحاب هذه الأرقام.

علق وليد في حنق:

للأسف!

إن أكبر عيوب التليفونات المحمولة أننا لا نستطيع معرفة مكان المتصل، على عكس التليفون الأرضي.

ظل الجميع ينتظرون في لهفة شديدة أن يتم الاتصال مرة أخري، وراحت لمياء تعاود الاتصال بهادية، ولكن تليفونها كان مغلقًا، إلا أنها ما كادت تتصل مرة أخري، حتى سمعت صوتًا يرد باللهجة المصرية العادية.

تجمدت لمياء في مكانها لمدة، ثم قالت تُحدِّث نفسها: ربما اتصلت برقم خطأ!

ولكنها ما أن عاودت الاتصال مرة أخرى، حتى

فوجئت بالرجل يقول:

نعم.

فتساءلت وهي لا تصدق:

من سيادتك؟

فوجئت لمياء بصاحب الصوت يرد بقوة مصحوبة بنفاد صبر:

أنا المساعد شرطة محروس، من قسم كفر الدوار.

لم تصدق لمياء نفسها، وتساءلت وجسدها كله يرتجف:

أليس هذا تليفون هادية حمدان؟

فجاءها صوت الرجل يقول:

لا أعرف من هي هادية، فلقد عثرت فتاة من كفر الدوار على هذا التليفون وسط كومة من القش منذ دقائق فقط، فأحضرته إلى القسم.

سكت صوت الرجل لثوانٍ، ولكنه عاود الحديث قائلاً في لهجة آمره:

إذا كنتِ صاحبة التليفون، فعليكِ بموافاتنا- هنا في القسم- بالفاتورة أو بما يدل على ملكيتكِ له.

وعلى إثر هذه المكالمة، انطلق الأصدقاء الخمسة على الفور بسيارة حمدي قاصدين كفر الدوار.

وفي غضون خمس ساعات كانت السيارة قد قطعت الطريق حتى وصلوا إلى قسم كفر الدوار، وما أن وصلوا إلى القسم وسألوا عن المساعد محروس، حتى فوجئوا بأن ميعاد ورديته قد انتهى، وطلب منهم المساعد الذي حل محله في ورديته، أن ينتظروا حتى صباح اليوم التالي، فقال جاسر في ضيق:

ولكننا نريد أن نعرف ماذا حدث.. إن الأمر في غاية الخطورة.

إلا أنهم وجدوا مساعد الشرطة ينظر إليهم باستهانة،

فقرروا الدخول إلى رئيس القسم، ولكنهم وجدوا أنه غير موجود؛ فاضطروا إلى المبيت في فندق على حدود البلدة.

وفي صباح اليوم التالي، أسرع الجميع إلى القسم، والتقوا بالمساعد محروس.

كان الرجل متفاهمًا، وقام بنفسه بتصوير المحاضر التي تحوي بيانات الفتاة التي عثرت على التليفون وسلمته إلى القسم.

كان عنوان الفتاة الموجودة بالمحضر واضحًا تمامًا: ١٦ شارع أبو المطامير- كفر الدوار.

أسرع الجميع إلى سيارة حمدي وراحوا يسألون عن العنوان، حتى وصلوا أخيرًا إلى منزل الفتاة.

كانت الفتاة صغيرة لا يزيد عمرها على أربع عشرة سنة، وكان والدها في غاية الكرم؛ فأصر- قبل أي شيء- على أن يتناول الأصدقاء الإفطار، وقد كانوا

بالفعل في منتهى الجوع، فلم يترددوا في تناول الإفطار مع أفراد أسرة الفتاة، والتي أخبرتهم أنها عثرت على المحمول وهي في طريقها إلى المدرسة، وأنها عندما أخبرت والديها بذلك، طلبا منها تسليمه إلى قسم الشرطة.

خرجت الفتاة معهم إلى الشارع؛ لترشدهم إلى المكان الذي عثرت فيه على التليفون، فقال طلال في حيرة:

لقد عثرت الفتاة على التليفون بالأمس، ومن المحتمل أن أحدًا ألقاه أثناء سيره بسيارته في الطريق.

فقال حمدي معترضًا.

لا، إن الطريق ليس رئيسيًا، بل هو طريق فرعي ومغلق؛ فلا يمكن لأحد أن يمر بسيارته من خلاله، إلا لو كان مقيمًا هنا.

سألت لمياء وهي لا تصدق:

ماذا تعني؟

أجاب حمدي في لهجة تأكيد:

أعني أن هادية موجودة هنا!

فنظروا جميعًا إليه في ذهول!

*****

وقف الجميع لمدة يفكرون في تحليل حمدي للأمر، فالمكان لا يجود به مخرج لتمر منه سيارة، ومعنى ذلك أن الذي رمى التليفون موجود في المنطقة، فقاموا جميعًا بتفقد المكان، وقال طلال بعد أن فكر قليلاً:

من المنطقي أن يكون من رمى التليفون بعيدًا عن هذا المكان، حتى لا يكشف أحد أمره.

وما أن راح الأصدقاء يتفقدون شوارع البلده، حتى وجدوا أن كل مساكنها لا تصلح أن تكون مكانًا تختفي به منظمة إجرامية؛ فالكل يعرف الأخر.

قالت لمياء:

ولماذا لا نستعين برجال المباحث في هذه المنطقة؟

فرد جاسر معترضًا:

لا تنسوا أن يكون الأمر في غاية السرية، كما نبَّه

علينا مدير الأمن.

فقال طلال:

ولماذا لا نتصل بمحامينا ليُطلع مدير الأمن على ما وصلنا إليه.

فقام حمدي بالاتصال بالمحامى، ولكنه وجد تليفونه مغلقًا.

قالت لمياء:

ولماذا لا نتصل بمنزله؟

شحذ حمدي ذاكرته لمدة حتى تذكر رقم منزل المحامي، وعند الاتصال به ردت زوجة المحامي قائلة:

لقد سافر إلى محكمة سوهاج لحضور، وسيعود بعد ثلاثة أيام.

فقال جاسر ممتثلاً للأمر الواقع:

نحن مضطرون إلى تفقُّد البلدة بأكملها، ولا بد أن

نقسِّم أنفسنا لكي نقوم بمسح شامل لكفر الدوار كلها في وقت واحد.

راقت الفكرة للجميع؛ فقام حمدي ولمياء بتفقُّد منطقة بعينها، بينما ذهب كل من جاسر ووليد وطلال يتفقدون مناطق أخرى، ووقعت على حمدي ولمياء مسئولية تفقد أطراف البلدة بسيارته.

كانت المنازل كلها متقاربة من بعضها البعض، وكان واضحًا أنها لا تصلح أبدًا كمكان يختبئ فيه أحد.

وفجأة، صاحت لمياء قائلة:

انظر!

نظر حمدي إلى حيث تشير لمياء، فوقعت عيناه على فيلا في أقصى المكان، تظهر بصعوبة من خلف الأشجار الكثيفة المحيطة بها، فقال حمدي بحماس، وهو يشعر أنه وجد ضالته المنشودة:

فعلاً! تصوري أن هذه الفيلا هي أصلح مكان للاختباء؛ فهي منعزلة تمامًا.

وعلى الفور ترك حمدي سيارته، واتجه إلى الفيلا، بينما وقفت لمياء تستطلع المنطقة المجاورة، وما أن وقفت تنظر حولها لتتفقد المكان، حتى فوجئت بفتاة تقترب منها، وخاطبتها قائلة:

هل تبحثين عن التونسيَّان أصحاب فيلا البنداري؟

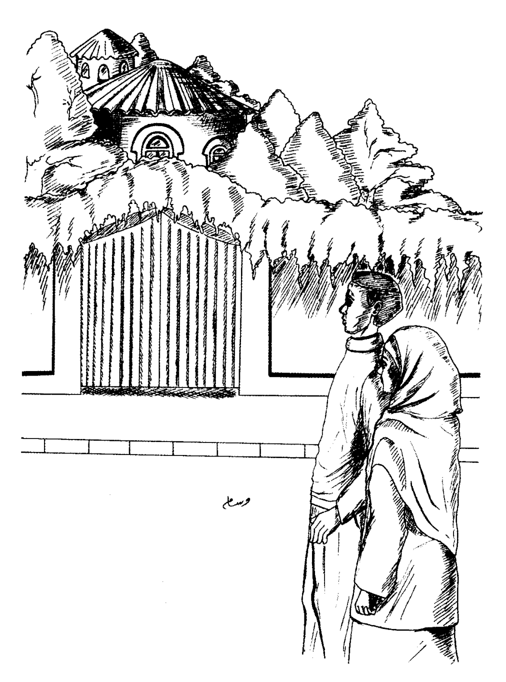
دب الخوف في قلب لمياء؛ حيث اعتقدت أن الفتاة قد كشفت أمرها، فسألت الفتاة في توجس:

يا الله!

وكيف عرفتي ذلك:

ابتسمت الفتاة ابتسامة واسعة، وقالت مزهوَّة بذكائها:

لأنك كنت تتحدثين مع هذا الشاب الذي اتجه ناحية



إن هذه الفيلا هي أصلح مكان للاختباء فهي منعزلة تمامًا

الفيلا، وعرفت من لهجتك أنك غير مصرية، فأدركت على الفور أنك تونسية مثلهن.

تنفست لمياء الصّعداء، بعدما شعرت أن الفتاة لم تكشف أمرها، وسألتها في شغف:

وكيف عرفتي أن أصحاب الفيلا توانسة؟

أجابت الفتاة:

إننا نعرف جميعًا أن أحمد البنداري- صاحب الفيلا- يأتي إلى هنا كل إجازة صيف ليمضي أسبوعًا أو اثنين، ولكنه من حوالي أسبوعين، اتصل بعمّ عثمان الخفير، حارس الفيلا، وأمره أن يجهز الفيلا لشقيقاته التونسيات؛ لأن هذه أول مرة يَأْتِيْنَ فيها إلى مصر.

قالت الفتاة ذلك، وغادرت المكان مسرعة؛ لتلحق بأمها التي كانت تنتظرها.

وما أن عاد حمدي وأخبرته لمياء بما سمعته عن

الفيلا، حتى صاح قائلاً:

يا الله!

ألا تلاحظين أنّهن ظَهَرْنَ في نفس الوقت الذي اختُطفت فيه هادية؟!

فكرت لمياء في الأمر، وقالت مؤكدة:

فعلاً! إن أمر هؤلاء التونسيات يدعو إلى الرّيبة.

وفي إثر ذلك، اتجه الصديقان يتفقدان المنطقة، وما أن توقف حمدي أمام أحد الأكشاك الصغيرة حتى قال:

إنها فرصة لتناول بعض المرطبات؛ فأنا في غاية العطش.

وما أن شرعا في تناول بعض المرطبات ليعاودا الاقتراب من الفيلا، عَنَّ للمياء شيء فجأة؛ فاقتربت من صاحب الكشك، وسألته إذا ما كان يعرف شيئًا عن فيلا أحمد البندري هذه، فأجاب الرجل في مباهاة:

طبعًا..

إنني أعرف البنداري بكْ منذ زمن؛ فهو يأتي أسبوعين أو ثلاثة كل عام، وعندما يأتي يكثر زوَّاره، لدرجة أنني أبيع صندوق مياة غازية كل يوم.

فسألته لمياء:

ولكنه في هذه السنة لم يأتِ، بل أرسل أخواته الثلاث اللاتي يأتين إلى مصر للمرة الأولى.

فقال الرجل في حيرة:

صحيح، إنَّهن ثلاثة كما قال عمّ عثمان بواب الفيلا، ولكن في كل مرة كان البواب يطلب مني أربع زجاجات مياه غازية، فاعتقدت أنه هو الذي يشرب الزجاجة الرابعة من ورائهم، ولكنني فوجئت أنه لا يُقبل على تناول المياه الغازية ولا الأيس كريم؛ لأنه مريض بالحساسية في الحنجرة.

قال حمدي:

ربما تشرب إحداهن أكثر من زجاجة.

صمت الرجل، وهز رأسه في حيرة، وقال وهو لا يصدق:

إذا كانت إحداهن تشرب زجاجتين في كل مرة، فهل في كل مرة أيضًا تتناول علبتين من الأيس كريم وعلبتين من الزبادي؟

وما أن سمع الصديقان ذلك، حتى راحا ينظران إلى بعضهما في حيرة ودهشة، واقترب حمدي من لمياء، وقال هامسًا:

من المؤكد أن صاحبة الزجاجة أو العلبة الرابعة هي هادية.

غادر الصديقان الكشك، وقالت لمياء وهي ترتجف من فرط إحساسها بأنهما توصلا إلى مكان وجود هادية:

تصور يا حمدي، هادية موجودة هنا!

ومرت فترة صمت، راح الصديقان يفكران خلالها، وهما لا يصدقان أنهما على بعد خطوات من هادية.

قالت لمياء وهي تحاول الاتصال بتليفونها المحمول:

لابد أن نتصل ببقية الأصدقاء ليأتوا إلى هنا، أو أن نبلغ المباحث.

أمسك حمدي يديها فجأة، وقال:

لا..

انتظري، فلابد من الاقتراب أكثر من الفيلا لنتعرف على حقائق أخرى.

ثم صمت وجعل يفكر بسرعة، وقال:

لقد خطر ببالي أن تتظاهرين بأنكِ في حالة إغماء، فأطلب أنا من البواب المعاونة، لعله يدخلنا إحدى الغرف لإفاقتك؛ فنحصل بذلك على أية معلومات جديدة قبل أن

نطلب المباحث.

راقت الفكرة للمياء، ولكنهما ما كادا يسرعان في تنفيذ الخطة، وراح حمدي ينادي على البواب، إذا برجلين يقبلان فجاة، ويضرب أحدهما حمدي في مؤخرة رأسه، بينما يوجه الأخر رشاش زجاجه إلى وجه لمياء؛ فأغمي عليها في الحال، ثم حملاهما معًا إلى داخل الفيلا.

*****

ظل وليد وجاسر وطلال يتفقدان معظم شوارع وأزقة مدينة كفر الدوار بالكامل، وكانت المنازل كلها لا تصلح أن يختفي فيها أعضاء المنظمة؛ فالناس يعرف بعضهم البعض، وأي غريب سيظهر ويكتشف على الفور، فكيف تأتي مجموعة أجنبية، ومعهم فتاة مختطفة، إلى هذه المنطقة؟!

عاد الأصدقاء بعد ثلاث ساعات، فلم يجدوا كلاً من حمدي ولمياء.

فقاموا بالاتصال مرارًا بهما من خلال المحمول، ولكن كان تليفون كل منهما مغلقًا، فاستمروا يجوبون المنطقة، ويجلسون على مقاهيها لمدة ثلاث ساعات كاملة.

ورغم ذلك لم يعثروا عليهما؛ فاضطروا إلى الاتصال بهما في كل مكان، فقال جاسر في خوف وحيرة:

من المؤكد أنهما قد غادرا المكان؛ فسيارتهما غير

موجودة.

وجد الأصدقاء أنه لا مفر من الاتصال برجال الأمن، فقاموا بالاتصال على الفور بمباحث كفر الدوار، وكفر الزيات، ودمنهور، والإسكندرية، وأبلغوهم بمواصفات حمدي ولمياء، وبيانات سيارة حمدي؛ فأصدر رجال الأمن الأوامر لجميع جهات الشرطة في مصر بأكلمها، بالبحث عن سيارة حمدي.

كما تم إرسال سيارة على الفور لإحضار الأصدقاء الثلاثة من كفر الدوار إلى مدينة القاهرة؛ للحصول منهم على بيانات أكثر تفصيلاً.

وبعد أن استمع إليهم مدير الأمن، راح يفكر لدقائق، ثم قال فجأة:

ما دام حمدي ولمياء يبحثان عن المكان الذي احتجزت فيه المنظمة هادية بمدينة كفر الدوار.

وما داما مقتنعين تمامًا بأنها موجوده في هذه

المنطقة من المدينة، فمن المؤكد أنهما لم يبتعدا عن المنطقة، أو على الأكثر لم يخرجا من مدينة كفر الدوار.

وما كاد مدير الأمن يدلي بملاحظاته هذه، حتى رن تليفون مكتبه، وعندما ورفع السماعة فوجئ الأصدقاء به يقول في لهفة:

يا الله!

وجدتموها!

فسأله طلال في لهفة:

ماذا حدث؟

هل وجدوها؟

فوجئ الأصدقاء بمدير الأمن يقول في دهشة:

لقد وجدت مباحث مدينة الإسكندرية سيارة حمدي ملقاه ومحطمة تمامًا في أحد شوارع الإسكندرية، ولكنهما لم يكونا بها.

فراح الأصدقاء الثلاثة في ذهول شديد!!

*****

أفاق حمدي من الغيبوبة التي أصابته من جراء الضربة التي أصابت مؤخرة رأسه، وجعل ينظر حوله وهو يحاول أن يتغلب على آلامه الشديدة، فوجد نفسه في غرفة مجهزة بأثاث فاخر، فعرف أنه بفيلا البنداري، واستطاع بعد مدة التغلب على الضعف الذي أصابه من أثر الضربة، ووقف على قدميه، وخطا عدة خطوات نحو باب الغرفة، وجعل ينظر حوله، فوجد لمياء من بعيد، مقيدة اليدين والقدمين، راقدة فوق أريكة، فتذكر أنها كانت معه أثناء دخول الفيلا.

وقف حمدي لثوان يفكر وينظر حوله، فوقعت عيناه على غرفة أخرى مغلقة، فتوقع أن تكون هادية بداخلها. لم يبالِ حمدي بوجود رجال المنظمة، حيث كان كل همه أن يعثر على هادية بأي شكل.

تقدم نحو الباب، وفتحه بقوة، فاستيقظت هادية على

صوت الباب.

التقى الحبيبان أخيرًا، وفجأة، اقتحم رجلان عملاقان الغرفة، وصوب أحدهما مسدسه تجاه حمدي الذي شعر بأنه قد اكتسب قدرة هائلة على الدفاع عن هادية، ولو أدى ذلك إلى قتله.

قال أحد الرجلين بلهجة آمرة:

اخرج معنا وإلا..

ففوجئ حمدي بهادية تقول:

اخرج يا حمدي، أرجوك!

وفي هذا الوقت، اقبلت السيدات التونسيات الثلاث، وخاطبت إحدهن الرجل بلهجة آمرة:

عليك أن تقيد هذا الشاب أيضًا.

سألها الرجل في حيرة:

ولكن إلى متى؟

راحت المرأة تفكر لثوان، ثم أجابت قائلة:

إلى أن تأتينا أوامر أخرى.

كان واضحًا تمامًا أن المرأة المتحدثة هي الزعيمة، وقد وقفت تحدق في وجه حمدي لفترة، ثم وجهت حديثها إلى امرأة أخري بجانبها:

إن هذا الشاب وهذه الفتاة قد وضعانا في مأزق خطير، فمن أين عرفا مكاننا؟

ثم توقفت، وجعلت تفكر لثوانٍ، وصرخت قائلة:

كيف؟

فقالت الأخرى:

وماذا نفعل؟

لولا أن رجالنا كانوا يتابعونهما وثلاثة أخرين كانوا معهما، لوصل رجال المباحث المصريين إلى هنا!

قالت الزعيمة:

إن وصولهما إلى الفيلا يعني أنهم في منتهي الذكاء.

فقالت الأخرى في جزع:

ولكن وصولهما إلى مكاننا هذا، يعني أن بقية أصحابهما سيبلغون الشرطة، ولن تلبث أن تصل إلى مكاننا.

هزت الزعيمة رأسها ناقية، وقالت بلهجة مليئة بالفخر والمباهاة:

لا.

فمنظمتنا ليست بهذه السهولة، ولا تنْسَي أنهم سرعان ما توصلوا إلى حل لهذه المشكلة.

فنحن مجموعة من أذكى الرجال والنساء في العالم.

سألتها صاحبتها في لهفة:

وما هو؟

زفرت الزعيمة في عمق، ثم أردفت قائلة بنفس لهجة

المباهاة والشعور بالزهو:

لقد استولى أحد رجالنا على السيارة التي كانا يقودانها، وأخذها إلى مدينة الإسكندرية، ووضع فيها قنبلة صغيرة ستنفجر بعد نصف ساعة من تركه لها؛ حتى نصرف أنظار رجال الأمن المصري إلى أنهما اختفيا في منطقة قريبة من السيارة.

قالت صاحبتها وهي تشعر أنها قد نجت من خطر مؤكد:

رائع!

لقد جعلناهم بذلك يبحثون عنهما في مكان آخر.

فتدخلت المرأة الأخرى.

وتساءلت في ضيق:

ولكن.

ماذا سنفعل بهؤلاء الرهائن؟

نظرت الزعيمة في ساعة يدها، وقالت:

سوف تأتينا الأوامر بعد دقائق قليلة، إما بقتلهما، أو جعلهما رهينة لدينا؟

*****

انتابت وليد وجاسر وطلال حالة من الذهول، وظلوا على ذلك لدقائق، وانتشلهم من تلك الحالة صوت مدير الأمن وهو يستدعي بعض قيادات الشرطة، وسرعان ما ظهرت أمام مدير الأمن على شاشة أحد الأجهزة صورة لمكان السيارة، فقال:

لقد وافاني رجال المتفجرات بتقرير أظهر أنه لم يكن أحد في السيارة ساعة الانفجار، ولا يمكن بالقطع أن يكون السبب حادث عرضي، إنما هي قنبلة تم وضعها لتنفجر في توقيت محدد، وهي نوع حديث من القنابل.

شعر الأصدقاء بشيء من الارتياح، وقال جاسر:

الحمد لله! أنهما- على الأقل- لم يُصابا بمكروه.

مرت فترة صمت سادها تفكير عميق، ولكن مدير الأمن قطع هذا الصمت قائلاً:

لقد اتضح الموقف تمامًا لنا الآن، فهؤلاء الشبان الخمسة توصلوا إلى مكان اختفاء زميلتهم المخطوفة في منطقة داخل مدينة كفر الدوار، بعد أن وجدت فتاة صغيرة المحمول الخاص بها، وتوصل حمدي ولمياء إلى مكانها؛ وهو ما جعل أفراد التنظيم يشعرون بأنهم في ورطة لن يجدي معها اختطاف حمدي ولمياء، بل لن يجدي حتى قتلهما؛ لأن هذا يدل على أن أحدًا أخر يعرف هذا المكان ويمكنه أن يصل إليهم، ولذلك قاموا بهذه الحيلة، وهي أن يفجروا السيارة في منطقة بعيدة تمامًا، وبذلك يضللوننا تمامًا.

قال أحد مساعديه:

فعلاً، إن هذا التحليل يعتبر هو البديل الوحيد.

أردف مدير الأمن قائلاً:

ولذلك يجب أن نوجه سيارات الشرطة إلى مدينة الإسكندرية، وأن نرسل إلى رؤساء صفحات الحوادث

بالجرائد والمجلات خبرًا يفيد بأن الشرطة تكثف حملاتها في منطقة الإسكندرية.

تساءل المساعد في حيرة:

هل تقصد سيادتك مدينة كفر الدوار؟

ولكن، فوجئ الجميع بمدير الأمن يقول:

لا، بل أعني بالفعل مدينة الإسكندرية.

سأله المساعد وهو لا يصدق:

يا الله! ولكن لماذا؟

أجاب مدير الأمن:

لأن العدو يعتقد أنه أذكى منّا، واعتقاده هذا هو بمثابة نقطة ضعف، ولذلك يجب أن نوهمه بأننا قد ابتلعنا الطعم؛ فيعتقدون بذلك أننا صرفنا النظر عن مكانهم بكفر الدوار.

قال المساعد بحماس، وقد اقتنع بالفكرة.

وهنا يتسنى لنا تكثيف حملاتنا السرية في منطقة كفر الدوار.

فتدخل رئيس المباحث قائلاً:

ولكن من الممكن أن يكون العدو قد شعر بالخطر فعلاً، وعلم أننا قد تمكنا من التعرف على مكانه؛ فهرب واستخدم في هروبه أكثر من سيارة، ومنها سيارة حمدي، وربما فضل أن يتركها، خاصة أن بقية زملائهما سيرشدوننا عليها، ولذلك أجد أنه لا بد من تكثيف جهودنا في مراقبة العديد من الطرق.

جعل مدير الأمن ينظر وهو يمعن في الأمر، ثم أردف مؤكدًا على كلام رئيس المباحث:

استنتاج سليم، ولذلك يجب أن نضع خطتين نقوم بتنفيذهما بسرعة، وفي وقت واحد؛ لأنه ما دام العدو قد شعر أنه ليس في أمان، فسيتصرف بسرعة.

ثم توقف وأطلق زفرة عميقة، وقال:

وقد يكون أشد عنفًا.

وبعد ساعتين فقط، كانت سيارات رجال المباحث تملأ مدينة كفر الدوار، وقد كان الدور الرئيسي في الحملة هنا لرجال مباحث كفر الدوار، حيث رأى مدير الأمن أنهم الأجدر بمعرفة مناطق المدينة جيدًا.

ولم تمر سوى نصف ساعة، حتى توصل رجال المباحث إلى استنتاج هام، وهو أن فيلا البنداري هي المكان الوحيد الذي يمكن أن تختبئ فيه المنظمة، فبدأ رجال الأمن في وضع خطة لاقتحام الفيلا بالطرق السلمية، وبصورة يبدو فيها الاقتحام أمرًا طبيعيًّا؛ حتى لا يكون هناك عنف يعرض الأصدقاء الثلاثة للخطر، واهتدوا إلى أن أمثل أسلوب لدخول الفيلا، هو دخول أحد رجال المباحث متنكرًا في شخصية قارئ عداد الكهرباء، على أن يقوم بوضع جهاز صغير يتيح لرجال الأمن مشاهدة كل ما يجري داخل الفيلا.

ولكن، ما كاد رجل المباحث المتنكر يشرع في تنفيذ الخطة، حتى فوجئ بوجود البواب مرتيمًا على الأرض، مقيد الأيدي والأرجل، وعلى ظهره ورقة مكتوب عليها:

إذا اعترضتم طريقنا قبل مغادرة مصر، سنقتل الأصدقاء الثلاثة.

فتسمر رجال الشرطة في مكانهم.

*****

استطاع رجال الأمن إفاقة الخفير، ولما قاموا بالتحقيق معه، اتضح لهم أن الرجل على قدر كبير من الجهل والسذاجة، فعرفوا منه أن يعمل مع أحمد البنداري منذ حوالي خمسة عشر عامًا، وهو رجل مقيم دائمًا خارج البلاد، ولا يزور مصر إلا مرة كل عام، يقضي خلالها إجازته بالفيلا، والتي تأخذ في الغالب ما بين أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع، وأن البنداري لم يأتِ هذا العام لقضاء إجازته كما هي العادة، بل اتصل به وأمره بتجهيز الفيلا لإقامة أخواته الثلاثة.

ولما سألوه عن الرجال والرهينة التي كانت محتجزة في الفيلا، فوجئوا به يقول:

إنه لم يكن موجودًا بالفيلا أي أجانب.

أما الفتاة المختطفة فلم يشاهدها أبدًا في الفيلا، ولكنه في اليوم الذي جاء فيه حمدي ولمياء كانت الشابة في

شبه أغماء، وطلب منه الشاب مساعدته في إفاقتها، ولكنه فوجئ ببعض الرجال العمالقة، يتحدثون بلغة أجنبية، وقاموا بضرب الشاب وتوثيق الفتاة، فعرف أنه أمام عصابة، وأثناء هروبهم قاموا بضربه؛ فافقدوه الوعي.

ولما قام رئيس مباحث كفر الدوار ومعاونوه بسؤال بعض الجيران، تبين أن أحدًا منهم لم يعرف شيئًا عما حدث؛ لبُعد المسافة بين مساكنهم والفيلا، كما أن صاحب الكشك قال: إنه شاهد ثلاث سيارات تغادر الفيلا، وأشار إلى ماركاتها وألوانها، وأنهم قد غادروا الفيلا منذ حوالي ثلاث ساعات.

ولما قام رئيس المباحث بإبلاغ مدير الأمن بما حدث، قام على الفور بإصدار أوامره بتكثيف حملات التفتيش على كل منافذ الخروج من مصر، والمطارات، والموانئ، وكانت تعليمات مدير الأمن واضحة لرجاله، بعدم

استعمال العنف مع أفراد البعثة؛ حتى لا يتعرض الأصدقاء الثلاثة للخطر، ولكنه فوجئ برئيس المباحث يتدخل قائلاً:

بل يجب أن نعمل عكس ذلك!

فلم يصدق مدير الأمن، وسأله في دهشة.

ماذا تقول؟

أجاب رئيس المباحث موضحًا:

إنني أتصور أنهم الآن يعرفون قيمة الرهائن الثلاثة، فهم من ثلاث دول عربية، ويعلمون أننا نضع أيدينا على قلوبنا؛ خشية أن يُصاب أي منهم بضرر، ولذلك فأنهم يدركون تمامًا أننا لن نستطيع أن نعاملهم بعنف.

صمت مدير الأمن لبرهة، ثم قال:

معنى ذلك أنهم الآن لا مخرج لهم إلا من خلال هؤلاء الرهائن الثلاثة، ومن المحتمل أن يضغطوا علينا بهم

حتى نرضخ لطلباتهم، وربما يطلبون طائرة لتوصيلهم إلى الدولة التي يريدون الهروب إليها، وهو ما يعني انتصارهم وتحقيق هدفهم، وهو الاستيلاء على الاختراع.

تدخل أحد المساعدين قائلاً في قلق شديد:

هل يُعقل أن يدخل المجرم بلدنا ويخرج منها رغم أنفنا، مستغلاً الحساسية التي بين الشعوب العربية.

ما كاد المساعد ينهي كلامه، وإذا بتليفون مدير الأمن يرن، وعندما رفع السماعة فوجئ به الجميع يقول:

هل هذا معقول؟

ومتى حدث ذلك؟

وما أن وضع السماعة، حتى بدت على أسارير وجهه دهشة وحيرة بالغة، فلما سأله رئيس المباحث عما حدث، قال وهو لا يصدق:

لقد فوجئ الجميع في البحرين بعودة ابنة الدكتور

الفالح المختطفة.

فنظر الجميع إلى بعضهم في دهشة شديدة!!!

*****

أثارت عودة ابنة الدكتور الفالح أسئلة خطيرة بين رجال الأمن في مصر، ومنها: هل الدكتور الفالح خائن؟

وهل ابنته لم تُختطف؟

وهل توجد علاقة بين أحمد البنداري والدكتور الفالح؟

وهل أرسل أعضاء المنظمة ليخبئهم في فيلته؟

كان الأصدقاء الثلاثة:

وليد، وطلال، وجاسر، في حالة من الهلع والحزن الشديد؛ نتيجة افتقادهم لثلاثة من أعز أصدقائهم، وقد تزايد هذا الخوف والهلع، بعدما سمعوا ما دار بين مدير الأمن ورئيس المباحث والمساعدين، بأن هادية، وحمدي، ولمياء في خطر حقيقي، حيث إن استعمال العنف مع أعضاء المنظمة قد ينجم عنه خطورة شديدة على الأصدقاء الثلاثة، أما الخطر الآخر فهو أن المنظمة

تحتفظ بهم كرهائن لتستعملهم كدرع بشري؛ لكي تخضع السلطات الأمنية العربية لأوامرهم بالهرب.

لم يستطع الأصدقاء مغادرة مكتب مدير الأمن، ومرت عدة ساعات كانت الغرفة خلالها بمثابة غرفة عمليات حربية.

وفجأة، وصل خبر مهم إلى مسامع مدير الأمن.

لقد اكتشفوا وجود أعضاء المنظمة في منزل ريفي يقع ببقعة نائية في منطقة بضواحي طنطا، بعدما تسلل أحدهم إلي بيت الرجل، وقبض عليه بسهولة؛ لأن الرجل كان عجوزًا يعيش بمفرده.

وبعد مدة- كما توقع مدير الأمن- جاء الإنذار، وهو أن الرهائن الثلاث لن يُطلق سراحهم إلا بعد أن تُجهز طائرة خاصة في الساعة العاشرة والنصف مساءً.

وما أن مرت دقائق معدودة، حتى وصل إلى مسامع مدير الأمن الخبر السعيد، حيث تم القبض على جميع

أفراد المنظمة، وعودة الشبان الثلاثة سالمين.

*****

لم يصدق وليد وطلال وجاسر أنفسهم وهم يشاهدون هادية وحمدي ولمياء أمام أعينهم.

قال وليد وهو يعانق حمدي:

إنني لا أصدق، وكأنني في حلم!

وتساءل جاسر في دهشة:

ولكن كيف تم القبض على أفراد المنظمة بهذه السرعة الهائلة، ودون أي خسائر؟

لم يدر بخلد الجميع أن المباحث المصرية قد وضعت خطة سريعة تقوم على أن يقوم رجال المباحث بتفجير قنبلة تؤدي إلى إصابة الجميع بغيبوبة مؤقتة، بعدها يدخل رجال المباحث للقبض على العصابة.

وبعد ثلاثة أيام..

اجتمع الأصدقاء جميعًا في كافتيريا الكلية التي

يجتمعون فيها دائمًا، ولم يستطيع الأصدقاء في هذه المرة أن يقوموا بحديثهم المعتاد؛ فقد كان الطلبة- بين حين وآخر- يدخلون ويحيون هادية وحمدي ولمياء على نجاتهم.

وفجأة..

جاء عامل مكتب عميد الكلية يدعوهم إلى لقاء العميد، حيث فوجئوا بوجود الدكتور الفالح أمامهم.

بادرهم العميد قائلاً:

إن الدكتور الفالح قد جاء ليجتمع بأولياء الأمور مرة أخرى؛ لكي يعرض عليهم الاستثمار في الشركة الهائلة التي ستقوم بتنفيذ اختراعه.

سأله حمدي وهو لا يصدق:

يا الله!

ألم تسرق المنظمة اختراعه.

ففوجئ حمدي بالعميد والدكتور الفالح يتبادلان ابتسامة واسعة، ويوضحان أن أحمد البنداري هو من كان وراء تدبير هذه الجريمة، فهو أجنبي الجنسية، ويكره العرب والمصريين..

وقد ساعدته دراسته لعلم الأنثربولوجي، وخاصة اللهجة المصرية، على الحصول على جواز سفر مزيف، باسم أحمد البنداري؛ حتى لا يتطرق إلى ذهن أحد أنه أجنبي..

وقد اشترى هذه الفيلا حتى لا يخطر على بال أحد، أن هذا المكان يمكن أن يختبئ فيه أفراد منظمة أجنبية؛ حتى يتثنى لهم من خلاله القيام بكافة الأعمال التخريبية، ونشر الفوضى داخل مصر.

وقد ساعدته المنظمة بأموالها على أن يؤسس شركات داخل البحرين باسمه؛ فيتغلغل بذلك داخل المجتمع البحريني..

ومن خلال ذلك يعرف كل ما يجري في البحرين والعالم العربي، فيَسْهل بذلك التخطيط لنشر الفساد والتفرقة بين مواطني البلاد العربية.

سأل طلال العميد في دهشة وحيرة:

ولكن ما علاقة ذلك بالدكتور الفالح واختراعه:

أجاب العميد بعدما تبادل نظرة ثقة وفخر مع الدكتور الفالح:

لقد استطاع البنداري التغلغل داخل المجتمع البحريني، وحصل على كافة المعلومات التي تساعد المنظمة على تنفيذ أهدافها الخطيرة.

ولما عرف من الدكتور الفالح حكاية الاختراع، أسرعت المنظمة على الفور في وضع خطة تقوم على اختطاف ابنة الدكتور الفالح، وجعلها رهينة؛ حتى يرضخ لهم، وينتزعوا منه الاختراع وبراءته.

سألت لمياء وهي لا تصدق:

يا الله!

وما علاقة ذلك بهادية؟

أجاب العميد:

بعد أن اختطفوا ابنة الدكتور الفالح، لم يكن هو على علم باختطافها، فقد خدعوه في أول الأمر، وأرسلوا ابنة إحدى عضوات المنظمة، والتي أوهمته بأنها مُدرّسة بالمدرسة التي توجد بها ابنته، وأن ابنته قد سافرت في رحلة مدرسية إلى فرنسا، في الوقت الذي كان فيه الدكتور وزوجته في مهمة خارج البحرين.

سأل جاسر في حيرة ولهفة:

ولكن ماذا حدث بعد ذلك؟

أوضح العميد:

استطاعت ابنة الدكتور الفالح الهروب من المنظمة،

ولكنها أُصيبت عند هروبها، مما أفقدها الذاكرة لفترة مؤقتة، فاعتقد رجال المنظمة أن الفتاة قد هربت، وقرروا أن يأخذوا رهينة بديلة لها بأي شكل.

سأل حمدي في حيرة شديدة:

ولماذا اختاروا هادية بالذات؟

أجاب العميد:

لأن هادية كانت على الطائرة، وفي طريقها إلى كلية الصيدلة، حيث ستلتقي مع الدكتور الفالح، وهو ما اعتبرته المنظمة فرصة لاختطاف هادية، وسرقة اختراع الدكتور الفالح..

فاختطاف هادية يؤدي إلى نزاع بين السلطات الأمينة في البحرين، وبين السلطات الأمنية في مصر؛ نظرًا لوضع والدها المرموق في المجتمع البحريني.

ثم ضحك العميد، وأردف قائلاً:

وبالقطع..

لم تستطع المنظمة التوصل إلى سر الاختراع، وكان هذا بمثابة هزيمة وإهانة لذكاء المنظمة.